الفصل الخامس

" ما قبل النهاية "

بدأت أيام تلوح بجمال نقي يقترب ودائم يحتضر يلفظ أنفاسه الأخيرة ليكون ما قبل النهاية التي ربما تكون سعيدة ربما تعيسة في حياة ماسة وباسم وتامر والأحداث التي ستدور بينهم فسلام على من أعطى وسبيله بالحب أكبر.

في قلب ماسة بدأت مشاعر تشبه الربيع الذي يأتي ليسعدنا بعليله الندي الرقراق وساعاته التي تأخذ الروح إلى المجرات المختلفة وجعلت في دقات القلب يخفق ليدور في داخله الحساس غرام حائر هل يا ترى هو عاشق لها أم أنه لا يكترث قلبه من نظراتها التي تقرأ في عيناه الود واللهفة والإعجاب تريد ماسة أن تتأكد من ما تشعر به هل هو وهم أم ماذا....؟

أم أنها مجرد عاطفة عابرة منه ستنتهي وتتبخر .....؟

جلست تحت شجرة الصنوبر التي تحبها في حديقتها وسألت أوراقها عنه والفراشة التي تنتقل من زهرة لزهرة مع الشوق لسماع صوته ورؤيته يجتاح فكرها فأمسكت هاتفها لتتصل بتامر وإذ به يرن قبل أن تضع يدها على زر الاتصال و المتصل تامر.

- ألو أهلاً أستاذ تامر.
- كيف حالك يا ماسة....؟
- أنا بخير كنت أريد الاتصال بك ففوجئت بك تتصل أنت سبقتني بدقيقة واحدة فقط.....!
- وماذا تسمينه هذا ....؟
- لا أعلم .....! (بخجل)
- كنت أفكر بكِ قبل أن أتصل.
- وبماذا كنت تفكر....؟
- سأخبركِ عندما أراكِ غداً إن شاء الله.

- في أي وقت، بعد الساعة الثالثة لدي أخبار سارة لكِ بخصوص باسم
- اتفقنا؟
- ألا تريدين معرفتها مسبقاً....؟
- لا أريد معرفة بماذا كنت تفكر قبل أن تتصل بي.
- مممممممممم (ويضحك تامر)
- أين أنتِ الآن .....؟
- أنا في الحديقة القريبة من منزلنا عند شجرة الصنوبر التي أحبها كثيراً
- جيد جداً لديكِ وقت لانتظاري سأخبركِ الآن كل شيء (ويضحك)
- نعم سأنتظرك مع السلامة
- مع السلامة

وصل تامر إلى الحديقة واقترب وجلس على الكرسي الذي تجلس عليه طفلته المدللة ماسة وأخبرها عن إعجابه وطلب منها أن تخبر والدها أنه يريد لقائه غداً مساءً لخطبتها رسمياً منه ولكن لن يتم إعلان الخطوبة إلا بعد أن تمر بضعة أشهر على وفاة والدتها والزواج بعد أن تنجح وتصبح طالبة في كلية الطب لأنه يريدها أن تكمل الدراسة لتصبح كما تريد وتحب وتحلم.

ماسة لم تتفوه بكلمة سوى أنا موافقة قالتها بعيناها وابتسامتها التي ارتسمت على وجهها طيلة الوقت.

أوصلها تامر إلى المنزل وعاد لمكتبه والفرح والسرور يلمع في عيناه.

وماسة أخبرت كاميليا ويامن واتصلت بهديل وأخبرتها بكل شيء، فرحتها فرحتين الحب الذي تستحقه من رجل بكل معنى الرجولة التي للأسف أغلب مجتمعنا الشرقي لا يعلم معانيها الحقيقية، الرجولة تسامح صدق، إخلاص ومسؤولية، وخوف من

الله، الرجولة نخوة وشرف وأخلاق عالية والتي يتصف بها الشخص الذي لديه ثقة بنفسه وبقدراته العقلية والنفسية بقوة شخصيته واحترامه لنفسه، قبل غيره، الرجل الحقيقي وإن أذنب يعترف ويعتذر ويتحمل ما فعل وهنا أتت فرحتها لأنها ستنتهي من باسم وظلمه لها وستطوي صفحة سوداء في عمرها وتبدأ صفحة بيضاء تعلمت أن تضع على سطورها ما تعلمته من التجارب السابقة لتكتب فيها كل ما هو خير وتضع حداً لكل شيء سيأتي.

أتى والدها مساءً وأخبرته ووافق إن كان هذا الأمر يسعد ابنته فتخيلها عروساً ترتدي فستان الزفاف فذرف دموعاً وتخيل زوجته معهم سعيدة برؤية ابنتها تزف لزوجها فدخل غرفته لا يريد أن تراه ماسة وهو يبكي ويتألم فتبعته كاميليا وأغلقت باب الغرفة.

- رأيت دموعك لا تبكي يا أبتاه.
- تذكرت أمكِ كانت تنتظر هذا اليوم أن تشاهد ماسة عروساً وأنتِ ويامن أيضاً.

- أعلم هذا ولكنها الآن سعيدة لأن ماسة انتصرت ووجدت رجلاً حقيقياً يكون لها سنداً بإذن الله.
- وهذا ما أسعدني كثيراً أرجو من الله أن تبقى ابتسامتها لا تفارق شفتاها.
- هيا لنخرج ولا تشعرها بشيء.

احتضن السيد عبد الكريم كاميليا وخرجا إلى غرفة الجلوس سوياً ليكملان الحديث مع ماسة ويامن وجلست العائلة تتحدث عن حياتهم المستقبلية.

فأخبرهم والدهم أن شريكه عاد من السفر وتم القبض عليه وإنه سيحاكم ونسترد المال الذي سلبه منه ووعد كاميليا أن يشتري لها كاميرا التصوير التي تريدها لأن التصوير هوايتها المفضلة وسيشتري عيادة لطبيبة الأسرة ماسة ومنزلاً ليامن ليتزوج أما هديل الأم الثانية لأولاده عندما تأتي لها مفاجأة كبيرة.

في اليوم الثاني عند الساعة الثامنة مساءً أتى تامر وطلب ماسة للزواج وتمت الخطوبة وتعرفت والدته ووالده على أهل ماسة وكانت ليلة مميزة وسهرة ممتعة.

وباسم لا يعلم ما يحصل مع حبيبته التي أصبحت مع شخص آخر بكل جوارحها فحالته النفسية صعبة وعلامات البأس والهزيمة والاكتئاب تعتلي ملامح وجهه المتعب ولحيته الطويلة التي ظهرت وعيناه المنتفخة من السهر وجسده النحيل يريد أن يلتقي ماسة يراها في كل ركن من أركان منزله أهمل نفسه وعمله ولا يتحدث مع أحد.

مرت أيام وأتى موعد اللقاء بين ماسة وتامر في المحكمة وبعد أن صدر القرار حيث أن الجهة المدعية لم تستطيع إثبات ادعائها بالطرق القانونية المقبولة وتم إثبات براءة المدعي عليها وفي هذه الحالة تم إجراء المصالحة وإسقاط الحق الشخصي وعدم الاستئناف واتفق الطرفان على ذلك.

وقام الطرف المدعي بطلب إسقاط على أن لا يقوم الطرف المدعي عليه بدعوى افتراء وفقت ماسة وتامر على طلب باسم وتمت الأمور القانونية في المحكمة وباسم لم يكن سعيداً.

- باسم أنا سامحتك وأريدك أن تنساني للأبد ولكن لن يكون لك في خانة الذكريات.

وصمت باسم وقلبه سينفجر من الغيظ والنار التي تغلي في صدره من حديثها لا يمكن أن تتحملها البراكين.

خرجت ماسة من المحكمة وضحكتها لا تفارق شفتاها وتامر بقي في عمله داخل القصر العدلي. وعادت ماسة إلى منزلها وكأنها طير كان في قفص وتحرر من القيود أحست أنها حرة طليقة نامت قريرة العين هادئة تحرسها أحلامها التي تراها في نومها العميق.

- جدتي جدتي أكملي لنا القصة لما توقفتِ...؟

- ماسة ذهبت إلى النوم وأنت أيضاً إلى النوم في الصباح الباكر سأكمل ما تبقى
- سؤال يا جدتي هل ماسة كانت جميلة وما سبب خوف باسم منها؟
- هذا لم تذكريه فأنا أتلهف لأعلم ما حصل....؟
- نعم ماسة كانت جميلة أما ما حصل بينها وبين باسم ستعلمه غداً أنت في عمر العشرين وأنا عجوز تجاوزت الستين وجسدي بحاجة للنوم هيا أريد أن أنام ويفضل أن تذهب أيضاً إلى النوم تصبح على ألف خير وسعادة.
- وأنتِ بألف خير غداً نكمل.

أتى يوم اختبارات ماسة في الثانوية العامة وكانت مستعدة بشكل كبير وحماس كبير وهي متفائلة كثيراً ومضت أشهر وتفوقت على نفسها ونجحت في دراستها وعلاماتها ممتازة فأقدمت على التسجيل في كلية الطب وبعد أن انتهت كان لها موعد مع خطيبها تامر الذي التقت به في المقهى ليتحدثان.

- مساء الحب.
- مساءك نقاء كأنتِ حبيبتي كيف أنتِ اليوم
- أنا في قمة السعادة
- الحمد لله أنكِ سعيدة وأنا سعيد لأجلكِ.
- قابلت اليوم صديقة لي قديمة تدرس علم النفس وأجرت لي اختبار نفسي وأخبرتها عما حصل معي وقالت لي إن عدم تأثري وتجاوزت الموضوع النفسي لأن حديثي عما حصل كان عادياً لم تشاهد أي آثار على وجهي من الحزن أو الدموع أو الانزعاج.

- هذا جيد والسبب يعود لأن قلبك النظيف الذي تفوح منه رائحة الطيبة التي تنشر الخير للجميع وهذا ما أعشقه بكِ وجعلني أغرم به هو قلبك.
- أخجلتني ....!
- هذه حقيقة تعكس على وجهكِ الطفولي غاليتي.
- شكراً جزيلاً وأنت أعظم رجل تراه عيوني سأكمل لك ما قالته لي عندما أخبرتها أنني قمت بصفع باسم على وجهه عندما قال لي أنا لا أحبك ولا أريدك وكنت أتسلى بكِ فإنك لا تعنيني وأريد أن نكون أصحاب فقط فقالت أن ردة فعله كانت الدعوى التي جعلت منه المحامي الأضحوكة بين الناس لأنه يعاني من اضطرابات وهذا طبيعي لديه لحماية نفسه مني لأنه يعاني من هواجس لربما ماسة ستنتقم مني.
- أنا لا أعارض صديقتكِ ولكن أنتِ تصرفتِ بشكل طبيعي كأي فتاة أحبت بصدق وكانت تريد أن تفرغ غضبها الناجم

عن ردة فعل لتخلي الحبيب والشريك عنها بعدما تعلقتِ به فالتسلية بالمشاعر ليس بسهل على أحد إن كان رجل أو امرأة ولا يفعلها إلا من يعاني من عقد نفسية تراكمت بسبب صدمات تغلبت عليه

- (وتضحك ماسة) نعم أصبت يا حبيبي.
- ودليل أنكِ رغم انتصاركِ عليه سامحتِ وصفحتِ عنه هداه الله.
- أنا لا أكرهه لأنه لم يؤثر فيني والحمد لله أنا جائعة ما رأيك أن نأكل.
- وأنا أيضاً.
- باسم ضائع عاد لحياته الطبيعية ولكنه علم بخطوبة ماسة لتامر والغيرة تأكل فؤاده ويحاول دائماً أن يمتص غضبه رغم وجود علاقة في حياته يبنيها على الخداع ولكن ماسة لم تغيب عن عقله وقلبه.

- كاميليا نجحت في دراستها وأصبحت في كلية الحقوق في السنة الثالثة. ويامن تزوج وزوجته ستنجب له طفل، وهديل قررت أن تأتي للعيش في بلدها مع زوجها وابنتها التي سمتها ماسة الصغيرة.
- يا الله يا جدتي هل انتهت حكاية صديقتكِ ماسة....؟
- لا يا شقي هناك بقية.
- سؤال يا جدتي.
- تفضل.
- لما قصصتِ علينا حكايتها .....؟
- لأن حكاية ماسة فيها عبرة وتحدي وصبر ومقاومة لكل شخص يقع بظروف صعبة أريد منك أن تتجاوز ما حصل من أخطاء هذه المدرسة التي نعيشها ونتعلم ونطبق أما أن ننجح أو أن نفشل ونعود كما كنا.

- فعلاً قصة ماسة وباسم فيها امتحان وحكمة هيا أكملي الباقي يا جدتي الطيبة
- ذات يوم وتامر في قاعة المحكمة وهو خارج منها وجد باسم ينتظره للحديث إليه وهو يرمقه بنظرات حقد وامتعاض.
- أنت انتظر أريد الحديث معك.

فتلفت إليه تامر وهو يبتسم ابتسامة سخرية في وجه باسم.

- ماذا تريد وبسرعة لأني مشغول جداً ولا أعتقد أن هناك ما نتحدث به.
- لا لا يوجد بأي حق تأخذ مني ماسة كالأفعى السامة....!
- احترم نفسك ولا تسيء بالكلام ماسة خطيبتي لا تذكر اسمها على لسانك والأفعى السامة هي أنت من دخلت حياتها وحاولت تحطيمها ولكن الله وقف معها لأنها بريئة ولم تذنب بحقك على العكس كانت محبة لك وأنت من غدرت بها وأذيتها، عن اذنك لان وقتي ضيق لدي عمل.

- انتظر لا تذهب أنا أحبها أيضاً وهي لا زالت تحبني .....!
- يضحك تامر بسخرية على كلامه الغير موزون بعقله المريض
- اها اها وماذا بعد....؟
- وستعود إلي سترى ولن تبقى معك ....!
- هل أنت مجنون أم ماذا ....؟ كيف تقول كلام فارغاً....؟ ماسة لن تعود لك لأنك رجل يدعي الرجولة ويلبسه قناعاً فقط وزال القناع وثبت أنه إنسان لا يستحق الحب أدخلها في توتر ودعوى كيدية كاذبة وجلب التعاسة لعائلتها وافتعل الفتن بينها وبين شقيقها الذي كاد أن يقتلها ويرد أن تحبه وتعود إليه ماسة بربك فكر قليلاً بعقلك المهووس وكفاك أحلاماً تبنيها لوحدك فوق السحاب قمت باستغلال مهنة المحاماة والقانون بإلحاق الضرر بفتاة لم تفعل لك شيء استعملت الشهود الزور ونصبت لها فخ بتمثيلية الحمل الوديع الذي يحبها ويريدها للزواج وهي رفضت الوسائل التي حاولت بها لتستدرجها للخطأ

والانحراف بعلاقة غير سوية وتريد أن تعود لك اذهب رحمك الله وهداك.

ويضحك باسم لكلام تامر ولا يبالي به.

- هل أصبحت معيد محاضرات في القيم والأخلاق.....؟
- تباً تباً لدي عمل لا أريد أن أتحدث أكثر.

وأدار ظهره باسم ومشي فيقول له باسم وهو جاحظ العينين وشفتاه ترتجف :

- سنلتقي قريباً ومعي ماسة .

ومرت ستة شهور وتحدد موعد زفاف ماسة وتامر وعادت هديل إلى بلدها مع ماسة الصغيرة وزوجها وبدأت ماسة تذهب يومياً مع هديل إلى السوق لشراء حاجيات الزفاف أما فستان الفرح كان هدية من سعيد وزوجته دانا أصدقاء تامر وأول المدعوين.

- هكذا هي الأقدار تأخذنا لمصيرنا من دون أن نشعر وتحضر لنا المفاجآت فالخير يأتي من الله والشر من أنفسنا وعدم إدراكنا للواقع بالشكل الصحيح لنغوص في أعماق الكون لنجد ما نريد من ألوان نرتكز عليها لنمسك الريشة ونبدأ برسم اللوحة التي ستنتهي يوماً ما لنرحل بعدها ونترك الذكرى التي سيرويها من سيأتي من بعدنا فينظر الجيل ما قامت به أيدينا من رسوم لتتعلم لترتقي من قيمنا .....
- أظن يا جدتي أنكِ انتهيتِ.
- لا بقي القليل يا طارق من القصة.
- ما سر معرفتكِ بالتفاصيل بما حصل لماسة....؟
- سأخبرك لاحقاً ممم لا ستعلم بعدما أرحل عن هذه الدنيا
- حفظكِ الله وأدامكِ لنا.

تزداد يوم بعد يوم قوة العلاقة التي تربط ماسة بتامر إنه الحب من جديد ينظم لها دقات قلبها ليولد منه بريق ساطع من عيناها وحافز قوي لينتفض بين أركان الأرض وميض تصالح ليستقر داخل السطور وينشط داخل العروق ليحتل النجوم ويرحل إلى الأفلاك ويستقر عند كل صباح بجوار الشمس بعيد عن العيون تحرسه هي فقط.